بسم الله الرحمن الرحيم

الأحد 22/7/2012 5/رمضان/1433 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

الأربعون النووية

الإحسان (1)

عن عُمرَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قالَ: بَينَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاتَ يَوْمٍ إذْ طَلَعَ عَلَيْنا رَجُلٌ شَديدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَديدُ سَوادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حتَّى جَلَسَ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ على فَخِذَيْهِ؛ قالَ: يا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإسْلامِ؟ فَقالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)).

قالَ: صَدَقْتَ، قالَ: فَعَجِبْنا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ؟ قالَ: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)).

قالَ: صَدَقْتَ، قالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإحسانِ؟ قالَ: ((أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)).

قالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعةِ؟ قالَ: ((مَا الْمَسْؤُولُ عَنْها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)).

قالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِها؟ قالَ: ((أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ)) قالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قالَ لِي: ((يا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟)) قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ))، [رواه مسلمٌ].

هذا الحديث يسميه العلماء أم السنة، فكما سمى النبي صلى الله عليه وسلم الفاتحة أم القرآن؛ لأنها جمعت مقاصد القرآن، فهذا الحديث جمع أصول هذا الدين وهو من الأحاديث المتواترة رواه ثمانية من الصحابة فهو مقطوع بصحته. وهو يتكلم عن الإسلام والإحسان وعلامات الساعة.

أما الإسلام فمعناه: (**الاستسلام لأوامر الله**) فمن استسلم فهو مسلم ومن لم يستسلم فهو غير مسلم ولو قال أن اسمه محمد بن محمود.

قبل أشهر صدرت دراسة معنية بالمرأة في سوريا تخبر بأن ثلث النساء الوارثات في سوريا لم يأخذن حصصهن من الإرث، أي أن ثلث المسلمين يأكلون حصص أخواتهن البنات في الإرث، فهل هؤلاء مسلمون؟!

هناك أب أزعجه زوج ابنته فقرر أن يحرم البنت من الإرث؛ لأن البنت تقف مع زوجها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْخَيْرِ سَبْعِينَ سَنَةً، فَإِذَا أَوْصَى حَافَ فِي وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِشَرِّ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الشَّرِّ سَبْعِينَ سَنَةً، فَيَعْدِلُ فِي وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِخَيْرِ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ**))، **قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، إِلَى قَوْلِهِ ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾**، [النساء: 13-14] ، [رواه الإمام أحمد وابن ماجه].

ستين سنة يصلي ويصوم وعند الوصية على الرغم من أن الله وزع الإرث بين الأولاد لكنه رفض كلام الله وقال: لا أطبق إلا ما أريد، فكأنه يقول: قدموا كلامي ولا تسمعوا كلام الله؛ لذلك وجبت له النار.

عزمت مرة أن اكتب خطبة عنوانها (محمد بن محمود) أذكر فيها قصصاً فعلها أشخاص أسماؤهم محمد بن محمود يخالفون فيها رب العالمين جهاراً نهاراً.

مثلاً: نزل رجل إلى دائرة عامة ليقدم معاملة فقال له الموظف: (بَيِّضْ الفَالْ)، فخجل المراجع أن يخرج من جيبه شيء ليدفعه رشوة لهذا الموظف وإذا بالموظف يقول: لِمَ تخجل هل نحن نأكل حراماً، وبعدها يقول لك: أنا مسلم وسأحج من عامي هذا ليغفر لي ربي، أو يقول لك: أنا حججت سبع مرات.

أحياناً يحصل معك أمرٌ لا يروق لك، ولا يدخل في عقلك لكن المستسلم مهما أمره سيده بفعل قام به سواء رضي أم لم يرض، شعر براحة أو بتعب، سر أم لا يسر، ما دام الله عز وجل هو الذي أمر فعلى العين والرأس.

مصعب بن الزبير بن العوام كان من التابعين وقد جُعل أميراً على المدينة بلغه يوماً أن رجلاً من الصحابة يتكلم في حقه، فغضب الأمير وانزعج وأمر بإحضاره، فبلغ الأمر سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه فأسرع إلى دار الإمارة وقال: أيها الأمير لقد سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ: ((**اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا، أَوْ قَالَ: مَعْرُوفًا، اقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**))، **فَأَلْقَى مُصْعَبٌ نَفْسَهُ عَنْ سَرِيرِهِ، وَأَلْزَقَ خَدَّهُ بِالْبِسَاطِ، وَقَالَ: أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ**، [الإمام أحمد].

بعض الناس إذا غضبوا سبوا الدين، فإذا هدأ سأل ماذا أفعل؟ فأَيُّ مسلم هذا، وقد خرج من الدين؟!

أحدهم عندما يغضب يُطَلِّق زوجته بالثلاث، وعندما يهدأ يسأل ماذا أفعل؟ عند الأئمة الأربعة زوجته طلقت.

سيدنا عبد الله بن عباس كان يقول: (**يركب أحدكم الحُمُوقَة** (أحمق غبي بعيد عن الدين) **ثم يأتي يقول: يا ابن عباس يا ابن عباس ابحث لنا عن فتوى**).

أحدنا عندما يغضب لا ينضبط بالدين أو بالشرع حتى يخاف أحدنا أن يقول له صل على النبي صلى الله عليه وسلم لئلا يقول كلمة ليس لها انضباط بالشرع.

رجل انزعج من أجير عنده، فضرب الزجاج وشقت ذراعه مسافة عشرين غرزة فهل هذا انضباط؟

ماذا أفعل حتى أجعل غضبي وسروري منضبط بالشرع، فقري وغناي وراحتي منضبطة بالشرع؟ **مطلوب منك:**

1- أن تكثر من ذكر الله: فالإكثار من ذكر الله يجعل جلال ذكر الله مهيمناً عليك ففي كثير من حركاتك وسكناتك تراجع بها الله لأن اسم الله مهيمن عليك .

2- أن تكون قريباً من مجالس العلم:

يقول الإمام ابن القيم: (**الذنوب كلها مرجعها إلى أمرين: إما جهل إنسان يرتكب المعصية ولا يدري، وإما ظلم**).

فأنا عجبت من فتاة ترتدي الحجاب وتلبس الكنزة الضيقة وتظهر بطنها كيف طابقت هذا مع هذا؟ إنه الجهل.

((**الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**)).

ذكروا عن محمود بن محمود زنكي والملقب بنور الدين الشهيد أنه كان يكثر من زيارة العلماء والصالحين ويتعلم عندهم على الرغم من أنه سلطان وأنه حرر أكثر من خمسين مدينة من مدن العالم الإسلامي من يد الفرنجة، ومَهَّد لصلاح الدين حتى يفتح بيت المقدس.

قال السلطان نور الدين: تعرضت للشهادة أكثر من مرة فلم يرزقني الله تعالى إياها ولو علم فِيَّ خيراً لرزقنيها.

لكن الله تعالى رزقه الشهادة بنيته وبألسنة الناس فصار يلقب بالشهيد مع أنه مات على فراشه، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ صَادِقاً مِنْ قَلْبِهِ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**))، [الترمذي].

اشتكى أحد الرعية على السلطان نور الدين بأن له حقاً عنده فأرسل القاضي للسلطان واستدعاه وقال له: تعال إلى المحكمة فأرسل السلطان إلى القاضي وقال له: إذا جئتك فعاملني معه معاملة الخصوم ولا تقل لي يا مولانا.

فلما حضر السلطان وقف مع خصمه وقفة الخصوم فلما انتهت الجلسة وأدلى هذا ببينته وهذا أدلى ببينته تبين للقاضي أن ليس للرجل شيء على السلطان فانتهت الجلسة.

قال السلطان نور الدين: والله لقد علمت أن ليس للرجل علي من حق ولكني جئت إلى دار القضاء حتى لا يمتنع أحد من النزول إلى الشرع، فإنا معاشر الحكام تبع لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأشهدكم أني وهبته ما سأل فقط حتى أعلمكم الانضباط بالشرع.

وذكر عنه أنه كان يحب الشهادة فيُعَرِّض نفسه للمخاطر، فقيل له: يا مولانا السلطان لا تعرض نفسك للخطر فإنك إن قُتلت قُتل كثير من المسلمين وأن أُخذت ضاع الدين، فقال له: اسكت إن قولك هذا إساءة أدب على الله، ومن هو محمود ليهلك المسلمون إذا مات؟ من كان يحفظ الإسلام والمسلمين غير الذي لا إله إلا هو.

هذا الكلام هو معنى أن تشهد أن لا إله إلا الله.

((وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ)).

في القرآن وردت الصلاة بطريقتين:

أ. إما أمر بالصلاة.

ب. أو بإقامة الصلاة، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، [البقرة: 43]، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، [إبراهيم: 40].

قال الإمام القرطبي: (**معنى إقامة الصلاة: أي أداء الصلاة بأركانها، وسننها، وهيئاتها، ثم الطلب من الله عز وجل أن يتقبلها**).

يقول أحد الإخوة: أبي لديه من الأراضي ما لا يحصيه عداً، وهو لا يدفع الزكاة على الأراضي فقلت له: لم لا تدفع الزكاة؟ فأجاب الأب: الزكاة اسمها زكاة المال لا زكاة الأراضي، فأنا أدفع على المال ولا على الأراضي.

من قال لك هذا الشيء؟ بتصرف الأب أكل مالاً حراماً.

قال بعض العلماء: (**ما جاع فقير إلا بإمساك غني**).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**الْحَجُّ عَرَفَةُ**)). [الترمذي]، فلو ذهب أحدنا إلى الحج فلا يقف على عرفات فقط، بل يؤدي أركاناً وواجبات فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**الْحَجُّ عَرَفَةُ**))، يشير ذلك إلى أن هذا الركن من أبرز الأركان.

فالأركان الخمسة ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن هناك أشياء أخرى لم يذكرها.

ثم سأله الرجل عن الإيمان فذكر له أركانه، ومنها ((**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**))، فكل ما أصابك علم الله تعالى به، وكل ما كان في علم الله وقع.

عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَه كُلُّهُ خَيْرٌ وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَه، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَه**))، [مسلم].

تلقى الصحابة من العذاب والصبر ما لا يعلمه إلا الله، ومرت الأيام وصراع الحق والباطل موجود فذهب الباطل وبقيت أسماء صحابة النبي صلى الله عليه وسلم موجودة والله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾، [الرعد: 17].

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو من هو قد سقط في غزوة أحد بحفرة، وكسرت رباعيته، ودخلت حلقات المِغفر في وجهه الشريف، فأين الله مما يحدث مع نبيه؟! إن الله موجود لكن عليك أن تؤمن بالله؛ لأنه قد قَدَّر فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط.

إذا كنت رباً فدبر هذا الكون، وإذا كنت عبداً فالزم ما أمر مولاك.

في هذه الحياة، ما من مخلوق على وجه هذه الأرض إلا وهو مبتلى وكل على قدر إيمانهم.

تزوجت امرأة من رجل صالح وبعد سنة طلبت منه الطلاق فقال لها: هل أسأت لك أو لأهلك بشيء؟، فقالت: أبداً، إلا أنني ظننتك صالحاً. فقال: وهل رأيت مني فجوراً أو سوءاً؟! قالت: عشت معك لسنة كاملة فلم تصب ببلاء، ولو كان لك مكانة عند الله لابتلاك.

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: **قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: ((الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ...))**، [الإمام أحمد].

نحن نسأل الله ألا يبتلينا لكن إذا ابتلي المرء فالإيمان أن تؤمن بالله رباً حاكماً وآمراً وناهياً ومقدراً وقاضياً فالحكم حكمه والأمر أمره.

في هذه المحنة التي تصيب بلادنا نرى القمامة وقد ملئت في الطرقات، نرى في نفس الوقت الفتيات والشباب قد قرروا أن ينظفوا الشوارع.

هناك أناس خَيِّرون أخذوا من طعامهم وشرابهم وطعام أولادهم ليطعموا الجائعين.

أفرزت الأزمة أناساً خيرين وفضحت أناساً مجرمين لا يمكنك أن تتصور إجرامهم.

قرأت مرة كتاباً عن النصب والاحتيال تتعلم فيه كيف تنصب؛ لأن هذه الجرائم فن.

أحدهم قد تزل قدمه فيسيء إلى إنسان أو يقتله لكن هناك أناس يدرسون الإجرام دراسة.

الحمد لله رب العالمين